



اللقاء التاريخي بين موسى عليه السلام مع ربه

خطب المناسبات

محاضرة في الأردن

2020-06-15

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألويته وارض عنا وعنهم يارب العالمين.

أيها الإخوة الأحباب: أحياناً يجري لقاء بين حاكمين أو زعيمين أو شخصيتين قياديتين، فيوصف اللقاء في نشرة الأخبار بأنه كان لقاءً تاريخياً، لا يعنون بذلك أن هذا اللقاء له تاريخ! فكل اللقاءات لها تاريخ، ولكن يعنون بأن هذا اللقاء كان مهماً جداً، اليوم أريد أن أحدثكم عن لقاءٍ تاريخيٍّ، وهذا اللقاء التاريخي جرى بين رب العزة جل جلاله ونبيه الكريم موسى عليه السلام، إنه لقاء عظيم جداً.

الأمور بيد الله تعالى

موسى عليه السلام أراد أن يستدفئ في برد الصحراء، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا يَقْبَظِي أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى

(سورة طه: الآية 10)

إما أن يستضيء بالقبس ليعرف طريقه وقد تاه في هذه الصحراء الشاسعة، أو على الأقل يستدفئ مع أهله بجذوة من نار، فكان ذاهباً من أجل ذلك، لكن الذي حصل أنه وجد الهدى إلى يوم القيامة ووجد الطريق الذي يوصله إلى رحمة الله تعالى، ووجد ربه بانتظاره، لذلك ينسب إلى سيدنا علي رضي الله عنه أنه يقول:



قد يأتي الفرج من طريق غير متوقع

الإنسان يرجو شيئاً، هو يرى أن هذا الطريق سيوصله إلى مبلغ مالي جيد، أو أن هذا الطريق سيوصله إلى مكانة، وهو غافل عن طريق آخر تماماً لا يلقي له بالاً، فيأتيه الفرج من الطريق الذي هو عنه غافل، هو يظن أن النجاة من هنا، فإذا به يتفاجأ بأنها من طريق أخرى كان غافلاً عنها، فقال: " كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو أَرْجَى مِنْكَ لِمَا تَرْجُو "، لأن الأمور بيد الله تعالى، فموسى عليه السلام ذهب ليستدق بجذوة من نار فجعله الله تعالى نبياً، وأرسله برسالة وأصبح ذكره إلى يوم القيامة على كل لسان ما إن يذكر حتى تقول: موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ

(سورة طه: الآية 13)

هنا ضعوا نقطتين (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ): فإذا أردت أن تحدث ابنك بشيء مهم جداً، ولله المثل الأعلى، تقول له قبل أن تبدأ: استمع لما سأحدثك، فهذا للتنبيه بأن ما سيأتي أمر مهم جداً ينبغي أن تُصيح السمع له وأن تنتبه له تماماً.

اختيار الله عز وجل لسيدنا موسى

قال: (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) تخيل معي أن هذا العبد موسى عليه السلام في تلك الصحراء الباردة في هذا المشهد المهيّب وحده:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَمًا أَتَاهَا نُوحْيُ يَا مُوسَىٰ

(سورة طه: الآية 11)

(نُوحْيُ) بالبناء للمجهول (نُوحْيُ يَا مُوسَىٰ) هو لا يعرف مصدر النداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۚ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ

(سورة طه: الآية 12-13)

الله تعالى يقول له: (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ).



اختيار الله عز وجل

لو أنَّ ملكاً من ملوك الأرض، أو مدير شركة قال لموظف: أنا اخترتك لتلك المهمة، فإن هذه الكلمة تطنُّ في أذنه أياماً أنَّ فلاناً اختارني، فكيف إذا كان الاختيار من الله! قال: (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ) هنا ما نريد الحديث عنه في هذا اللقاء التاريخي، هي أمور ثلاثة وهي تشكل أصول العقيدة في كل شريعة من الشرائع، وليس فقط في الإسلام، فالأصول واحدة لكن التفاصيل مختلفة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا

(سورة المائدة: الآية 48)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

(سورة آل عمران: الآية 19)

فالدين واحد لكن الشرائع قد تختلف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ

(سورة طه: الآية 13)

للشريعة ثلاثة أصول

الآن ما الذي (يُوحَى)؟ هي أمور ثلاثة هي أصول كلِّ شريعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا
يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَذَّرْهُ

(سورة طه: الآية 14-15-16)

هذه الأصول الثلاثة في كل الشرائع:

- الأصل الأول: التوحيد
 - الأصل الثاني: العبادة
 - الأصل الثالث: الإيمان بالآخرة، بالبعث، بالوقوف بين يدي الله تعالى.
- لماذا هذه الثلاثة تحديداً التي نودي بها موسى عليه السلام في هذا اللقاء العظيم؟

الأصل الأول : التوحيد



التوحيد هو التعريف بالأمر

الأصل الأول: هو التوحيد هو التعريف بالأمر جل جلاله، (إِنِّي أَنَا اللَّهُ)، قبل أن تتوجه إليه بالعبادة ينبغي أن تعلم من هو؟ لو قال لك أحدهم: اذهب إلى فلان، فإنك تقول له: حدثني عنه حتى أعرفه فأذهب إليه بطليبي، أتقدم بطليبي، لكن من هو؟! فتطلب معرفة الأمر قبل الأمر.

هل تصدقون أن مشكلة العالم الإسلامي اليوم، ولا أبالغ، هي نقص في معرفة الأمر وليست نقصاً في معرفة الأمر، الدليل: سل أي مسلم من مليار ونصف المليار مسلم اليوم في الأرض، يشكلون ربع سكان الأرض تقريباً، قل له: الكذب حرام أم حلال؟ ماذا يجب؟ حرام، هل هناك مسلم يقول: الكذب حلال؟ مستحيل، لماذا كثير من المسلمين يكذبون؟ ما دام يعرف الأمر فلماذا لا ينفذه؟ يقول لك: لا يوجد عندي إرادة، لا أستطيع، ليس لي قوة، عندي ضعف بالإيمان، ما هو ضعف الإيمان؟ هو ضعف في معرفة الله، لو كان يعرف الله تعالى الذي أمره حق المعرفة لبادر إلى التطبيق، لو أنه يعرف الأمر تماماً لما ترك أمره، كأن يقول لك أحدهم: اذهب إلى فلان، قد تذهب وقد لا تذهب، وقد يأمرك شخص مهم في البلد بأن تأتي إليه الساعة الثامنة يوم الثلاثاء، فتصل إلى مكان الموعد الساعة السابعة والنصف وتنتظر بكل احترام وتقدير حتى تدخل إليه، ما الفرق بين الأمرين؟ كلا الأمرين الثلاثاء الساعة الثامنة، الفرق بينهما هو الأمر، فلما كان الأمر عظيماً في عينك بادرت إلى تنفيذ أمره، فمشكلة المسلمين اليوم أن أمر الله هان عليهم فهانوا على الله، نظروا إلى صغر الذنب، ولم ينظروا على من اجترؤوا.

لذلك:

أنت خالفت تعليمات من؟ تعليمات الله عز وجل، قد تقول: الذنب صغير، ما الذي فعلناه! نظرة، كلمة.

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا،

يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ }

(صحيح البخاري)

كلمة، نظرة، غش بشيء بسيط، ما الذي فعلته؟! الذي فعلته أنك عصيت الأمر جل جلاله.

نموذجان للاستجابة لأمر الله تعالى

سأعطيك أمرين وسأعطيك استجابتين حتى نفهم الموضوع : الأمر الأول: موسى عليه السلام، والحديث عن موسى، لما أمره الله أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً

(سورة البقرة: الآية 67)

ذبح بقرة، أي بقرة تجزئهم، البقر كثير، هو امتحان من الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا

(سورة البقرة: الآية 69)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ

(سورة البقرة: الآية 70)

قالوا: (مَا لَوْثُهَا) (مَا هِيَ) حتى ما بقيت إلا بقرة واحدة تنطبق عليها المواصفات، ثم قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ

(سورة البقرة: الآية 71)

ذبحوها وكأنهم لا يريدون، لكن لما حوصروا فعلوا، هذا أمر وانظروا إلى التنفيذ كيف كان، بالمقابل سيدنا إبراهيم عليه السلام قال لابنه إسماعيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ

(سورة الصافات: الآية 102)

(يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) أمر بذبح ابنه وليس بقرة، وليس ابنًا عاديًا، بل هو نبي من الأنبياء.

قال: (إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) وهو يوحي له إحياء بالأمر، لم يقل: إن الله يأمرني، (إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ) فهم الرسالة لأن رؤيا الأنبياء حق، (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ سِوَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْيَوْمِ وَالْآخِرِ

(سورة الصافات: الآية 103)

الذبح تم، كل شيء معد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَدْ تَنَاهَى بِذَنْبِهِ عَظِيمٍ

(سورة الصافات: الآية 107)



تعظيم الأمر يقتضي تنفيذ الأمر

فانظر إلى الأمرين، الأمر الأول: ذبح بقرة، والأمر الثاني: ذبح ولد صالح من الأولاد، ثم انظر إلى الاستجابتين، لماذا لم يستجيبوا في الأولى رغم أن الأمر يذبح بقرة، واستجاب الثاني؟ الفرق هو معرفة الأمر، فلما عظم الأمر في عين إسماعيل عليه السلام قال: (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) الأمر لا يناقش، لأنه حكيم وعليم وخبير، مثال: أنت مع طبيب وهذا الطبيب معه بورد واختصاصه نادر جداً، يقول لك: خفف من الملح، تقول له: أملك، إذا ناقشته قليلاً يقول لك: وقتي لا يسمح لمناقشتك، فإذا كنت تعرف خبرتي وتعلم علمي وتعلم شهاداتي وتعلم من أنا بادر إلى التنفيذ وفقط.

فمشكلة المسلمين اليوم أنهم يناقشون أوامر الدين أحياناً، لا مانع من البحث عن الحكم، بل هذا أسلوب دعوي جميل جداً، لكن بعض المسلمين يعلقون تنفيذ الأمر على معرفة الحكمة منه والفائدة، ما فائدته لي؟ إذا أنت لا تعبد الله، أنت تعبد ذاتك، إذا كنت في كل أمر من أوامر الله تريد أن تعرف تحديداً ما الذي يفيدك فأنت لا تعبد الله، أنت تعبد ذاتك، تريد الأشياء التي تنفعك، أنا لا أمانع ولا أخفف من أمر الحكمة، لكن علة أي أمر أنه أمر، مادام الله هو الأمر استجبنا، ثم بعد ذلك بدت الحكمة أم لم تبد لنا هذا أمر آخر، إن بدت فهذا شيء جيد، وإن لم تبد فالله يمتحن عبوديتنا له.

تعظيم الأمر قبل الأمر

فهنا الأصل الأول من الأصول التي جاء بها هذا اللقاء بين موسى عليه السلام ورب العزة جل جلاله قال: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ) قبل أن يقول له: (قَاعْبُدْنِي)، لذلك تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ أوتينا الإيمان قبل القرآن }

(صحيح البخاري)

عظم الله عندنا قبل أن تبدأ الأوامر

{ فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: إِنَّمَا تَزَلَّ أَوَّلَ مَا تَزَلَّ مِنْهُ سُورَةُ مِنَ الْمُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا تَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ، تَزَلَّ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ تَزَلَّ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا تَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ تَزَلَّ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا تَدْعُ الزَّنا أَبَدًا، لَقَدْ تَزَلَّ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةُ الْعَبْدِ: (بِلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمَرُّ) وَمَا تَزَلَّتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ }

(رواه البخاري)

في الاتحاد السوفيتي في أواخر أيامه منعوا الخمر، ليس منعاً كاملاً، وإنما منع جزئي لأنه أصبح يضر الاقتصاد بشكل كبير، فمنعوا الخمر وضبطوا البحرية، قرأت مقالاً طويلاً؛ وضبطوا الحدود البرية وسجلت ملايين المخالفات وسجن مئات البشر بل آلاف البشر، وقطعت مئات الإمدادات لمدة ثلاث سنوات ثم بعد ذلك أباحوا الخمر، بعد إباحة الخمر في السنة التي بعدها زاد استهلاك الناس للخمر أربعين بالمئة عما كان عليه قبل تحريم الخمر بالقانون الأرضي، أما بالقانون الإلهي لما علموا أن الله عز وجل لا يأمر إلا بما يصلحهم جاء الأمر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

(سورة المائدة: الآية 90)

فسالت الأودية بالخمر في المدينة فألقوا ما في آنتهم فوراً، لأن الإسلام يعتمد على الوازع ولا يعتمد على الرادع، قانون يحكمك والفكرة غير موجودة، العقيدة غير موجودة، فيؤمر فيأمر لأن الكاميرا تراقبه، فمتى أطفئت الكاميرا تركب آلاف السرقات، وهذا حصل في البلاد الغربية كثيراً لما تطفأ الكهراء تحصل السرقات، إذا الناس لم يتربوا على ترك السرقة خوفاً من الله وإنما خوفاً من القانون، أما المسلمون يفعل (فَاجْتَنِبُوهُ) لحد الآن مجتمعاتنا على ما فيها من سوء لكنها أقل المجتمعات شرباً للخمر، بما نعيشه من بركة ألف وأربعمئة سنة مع تراجعنا الشديد، لا أدعي أننا اليوم في أحسن أحوالنا بل في أسوأ أحوالنا لكن مع أننا في أسوأ أحوالنا لكن عندنا وازع داخلي أكثر بكثير من الناس الذين يعتمدون على الرادع الخارجي، على المراقبة الخارجية، نراقب الله من داخلنا.

التوحيد أساس العلم

فلذلك لما بدأ معه بالرسالة قال: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ) وكأنه تعريفٌ بالأمر قبل الأمر (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) وهذا هو التوحيد.



التوحيد أساس العلم

أفضل شيء تتعلمه في الحياة التوحيد، والله أبها الكرام، لو أن إنساناً لا يملك شهادة من شهادات الأرض على أهميتها وعلى رغبتنا اليوم أن يتعلم المسلمون وأن يحوزوا أعلى الشهادات، لو أنه لا يملك شهادة من شهادات الأرض لكنه كان موحداً فوالله إن هذه الشهادة شهادة التوحيد هي أعظم من كل شهادة في الأرض، والله إن جدتي أو جدتك التي لم يتح لها أن تتعلم ولا أن تدرك التكنولوجيا التي أدركناها لكنها تخشى الله فهي أنجى عند الله من ألف شهادة من إنسان حصلها لكنه لا يخشى الله، فالتوحيد هو أساس العلم، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(سورة محمد: الآية 19)

التوحيد علم، أن يصل الإنسان أن يكون موحداً، أن يعلم أن الأمور كلها بيد الله، أنه لا معطي إلا الله، ولا مانع إلا الله، ولا يعزك إلا الله، ولا يُذل إنساناً إلا الله جل جلاله، ولا يرفع إلا الله، ولا يخفض إلا الله، ولا يمنع إلا الله، ولا يعطي إلا الله، أن تعلم أن الأمر بيده وحده، (لا إله إلا أنا) الأمور بيده، على شكيمة العين قد تنوهم أن الأمور اليوم بيد جهة من الجهات القوية في الأرض، أما لو رجعت أربعة سنيتمترات إلى الوراء، إلى العقل، لوجدت أن الأمور كلها تجري بإرادته جل جلاله وبحكمته وتنصريفه، وهؤلاء مثل الدمى المتحركة.



الأمور كلها بيد الله

مثال: لو ذهبت مع طفل من أطفالك إلى مسرح الدمى المتحركة، الطفل يظن بأن الألعاب تتحرك لوحدها، أما أنت فتدرك بعقلك أن الألعاب لها خيوط وهناك من يحركهم من الأعلى، فنحن لسنا أطفالاً بالإدراك في هذا العالم، ينبغي أن نعي أن ما نجده من حركة في الكون مهما بدت لك أنها بعيدة عن منهج الله عز وجل، لكن الله عز وجل يتحكم بها، فالأمور كلها بيده.

يَسْتَعِظُ السَّامِعُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(سورة هود: الآية 55-56)

يَسْتَعِظُ السَّامِعُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ

(سورة الأعراف: الآية 183)

ما المتانة؟ إنها مقاومة قوى الشد، الخيط المتين لو قمت بشده لا ينقطع، أما القساوة فهي مقاومة قوى الضغط، الألماس قاسي، التفريك يعتمد على الفولاذ المضفور، لأن الفولاذ المضفور متين لا يقطع، وكذلك المصاعد.

يَسْتَعِظُ السَّامِعُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ

(سورة الأعراف: الآية 183)

فهؤلاء الذين تظنهم أنهم يتحركون في الأرض؛ كأنهم مربوطون بحبل متين بيد الله عز وجل ولله المثل الأعلى لكن للتشبيه، فمهما بدا لك أنهم يتحركون فلأن الله أرخى لهم الحبل، لكن في اللحظة التي يريد جل جلاله يمسك الحبل فيمنعهم، فهم يتحركون بإرادته، لكن ضعيف النظر يظن أنهم يتحركون وحدهم، لكن هم مربوطون بأزمتهم محكمين بيد خبيرة عند المولى جل جلاله، هذا هو التوحيد.

الشرك الأصغر

والله أيها الكرام؛ مع التوحيد ينفع قليل العمل وكثيره، ومن غير توحيد لا ينفع قليل العمل ولا كثيره، العبادة كلها ليس لها معنى بلا توحيد، فاليوم الكثير من المسلمين من غير أن ينتهوا عندهم ما يسمى بالشرك الأصغر، وهذا الشرك الأصغر غير مخرج من الملة، لا هذا ليس شركاً بالمعنى المخرج من الملة، لا أبداً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

(سورة النساء: الآية 48)



تعريف الشرك الأصغر

هذا الشرك الأكبر، لكن الشرك الأصغر أنه يظن من غير أن يشعر أن الأمور بيد فلان، حتى يجلسنا، حتى من غير أن يشعر الرجل يقول أمام أطفاله: هذه الجهة تحكم العالم كله، ما يريدونه يحدث، والحقيقة هم يفعلون، يخططون، يريدون، لكن إرادة الله هي النافذة، إرادة الله احتوت خططهم فهم يتحركون ضمن إرادة الله، كمثل سفينة ضخمة جداً بعرض البحار تمشي من الشرق إلى الغرب وأراد أحد الجالسين فوقها أن يعارض إرادتها وأن يمشي من الغرب إلى الشرق، هو يمشي فوق السفينة لكن السفينة ذاهبة إلى الغرب، في أي اتجاه مشيت امش فأنت تمشي على ظهرها، فأنت ضمن الخطأ والأمر ليس كما تريد، هو يتحرك ويظن أنه يعارض إرادة السفينة، ولكن السفينة تمضي وأنت امش كما تريد. فلذلك قال: (إِئْتِي أَتَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَتَا) أول أمر، أول الأمر التوحيد:

أن يعلم الإنسان أن الأمر كله بيد الله وأنه لا يعطيه ولا يمنعه ولا يخفضه ولا يرفعه ولا يذله ولا يعزه إلا مولاه جل جلاله، (إِئْتِي أَتَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَتَا) يعني لا معبود بحق إلا الله، لا تتوجه إلا إلى الله، لا تعقد الأمل إلا على الله.

الربوبية والألوهية



فهم الجميع لمفهوم الربوبية

عندنا ألوهية ووجود ربوبية، مفهومان، الربوبية: المسلمون يفهمونها جميعاً، قل لأي إنسان: من يطعمك؟ الله، من يرزقك؟ الله، من وهبك زوجة؟ الله، من أعطاك ولداً؟ الله، إلى من تتوجه؟ هنا السؤال، إذا كان هو الذي أعطاك، وهو الذي رزقك، وهو الذي ينزل الغيث، وهو الذي ينشر رحمته، وهو الذي يعطي، فعندما تريد أن تتوجه لماذا تطلب من غيره؟ لماذا يتوجه القلب إلى غير الله؟ لماذا لا تعقد عليه الأمل وحده؟ هذه الألوهية، هذا معنى: لا إله إلا الله، حتى المشركون في مكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ صُرَّتِهِ أَوْ
أَرَادَنِيَ بِعَذَابٍ هَلْ هُنَّ مُمَسِّكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ

(سورة الزمر: الآية 38)

مادام هو الخالق فالتوجه إليه وحده.

(إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) هذا القسم العقيدي النظري الذي ينبغي أن نعتقده، الذي ينبغي أن ينعكس بعد ذلك على سلوكك، هذا عقيدة، أو منطلقات نظرية، منطلقات فكرية، كما يقال، أو هو الإيمان بالمصطلح الديني القرآني؛ أن نعتقد هنا في العقل، لكن ما فحوى دعوة الأنبياء جميعاً كلهم دون استثناء؟ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ

(سورة الأنبياء: الآية 25)

الأصل الثاني : العبادة

باللغة العربية (من رَّسُولٍ) هذه (من) وبعدها نكرة لاستغراق أفراد النوع، يعني كل رسول، أي رسول جاء قومه (إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ) (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) (فَاعْبُدُونِ)، (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) نهاية العلم، (فَاعْبُدُونِ) نهاية العمل، فالآن دخل بالمنطلق الثاني (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) ما دمت عرفت أنه لا معبود بحق إلا الله، ولا معطي إلا الله، ولا مانع إلا الله، ولا رازق إلا الله فتوجه إليه بالعبادة وحده، فجاء الأصل الثاني من الأصول التي خاطب الله بها نبيه موسى عليه السلام في هذه الليلة الشاتية الباردة في تلك الصحراء الموحشة قال: (فَاعْبُدُونِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) هذا الأصل الثاني.



العبادة مفهوم جامع لكل خير ولكل بر

إخواننا الكرام: كثير من الناس يعتقدون أن العبادة هي الصلاة والصيام والزكاة والحج، وهذه رؤوس العبادات وأهمها ولا شك في ذلك، لكن العبادة هي مفهوم جامع لكل خير ولكل بر، أي فعل، هذا المجلس مجلس عبادة، إذا جلس الأب مع أولاده يلاطفهم ويعلمهم ويحبهم ويتودد إليهم فهذا مجلس عبادة، إذا أخذهم نزهةً ليدخل السرور على قلوبهم هذا مجلس عبادة، إذا ذهب إلى عمله صباحاً وفتح متجره وباع المسلمين بضاعةً لم يغشهم فيها ولم يبتزهم وكان صادقاً في تعامله معهم، هذا العمل عبادة، فالعبادة هي حركة ترافق الإنسان من استيقاظه ولا أقول إلى منامه فحتى النوم عبادة، ولكن ليس نوم الظالمين، جدتي كانت تقول: نوم الظالمين عبادة! بل هو نوم المؤمنين، حتى نوم المؤمنين عبادة بمعنى إيجابي، نوم الظالمين عبادة ليرتاح الناس منهم، نوم المؤمن عبادة لأنه عندما ينام؛ ينام على طهارة، يذكر الله، يسأل الله أن يوقظه لصلاة الفجر.

{ إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَقَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَصَعْتُ جَنِّي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنَّ

أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَأَرْحَمَهَا، وَإِنْ أُرْسَلْتُهَا فَاحْقُطْهَا بِمَا تَحْقُطُ بِهِ عِبَادَتُكَ الصَّالِحِينَ }

(صحيح البخاري)



الصلاة هي هدف العبادات

لكن لماذا قال: (فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) لأنه أهم عبادة هي إقامة الصلاة، يعني هنا عطف الخاص على العام، (فَاعْبُدْنِي) عام، كل عبادة كما قلنا أي حركة في الحياة، (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) هذا عطف الخاص على العام، الصلاة نوع من أنواع العبادة، لكن كل العبادات في المحصلة هدفها الصلاة، فالصلاة للصلاة، يعني لحسن الصلة بالله، والصيام للصلاة، والزكاة للصلاة، والحج للصلاة، فكل عبادة يعيدها الإنسان لربه هدفها الصلة بالله عز وجل وهذا هو مفهوم الصلاة، الصلة بالله، فكل عباداته هدفها الصلاة لذلك عطف هذه العبادة المهمة قال: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)، بالقرآن الكريم لا يوجد صلوا، يوجد (أَقِمِ الصَّلَاةَ) لا يوجد عندنا صلوا، ولا آية أتت كلمة صلوا على ما أذكر والله أعلم، لكن المكرر جداً (يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ

(سورة الإسراء: الآية 78)

كان العرب يقولون: أقام القوم سوقهم، أي لم يعطلوها من البيع والشراء، أما إذا أقمنا السوق دون بيع وشراء فهل يقال: أُقيمت السوق؟ لا يقال أُقيمت السوق، لأن النتيجة لم تحقق، فالصلاة عندما تقام تحقق المقصد الشرعي منها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

(سورة العنكبوت: الآية 45)

(الْفَحْشَاءِ) في القول (وَالْمُنْكَرِ) في الفعل، فيصبح الإنسان أقواله صحيحة وأفعاله صحيحة فيكون قد أقام الصلاة، لذلك قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَخَلَفَ مِنْ بَغْدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ

(سورة مريم: الآية 59)

قال العلماء: إضاعة الصلاة لا يعني تركها، ربما يصلون لكنهم أضاعوها بمعنى أنهم لم يحققوا مقصد الشرع منها، فتراها يصلي ثم يخرج من المسجد فيغش المسلمين، فأين صلاتك؟! مثل هذا صلى وأضاع الصلاة، إضاعة الصلاة ليست تركها فحسب وإنما إضاعة الصلاة تعني تغريغها من مضمونها بحيث تصبح حركات وسكنات تؤدي مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم لإسقاط الواجب فقط.



ذكر الله أهم ما في الصلاة

(قَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) ما معنى (لِذِكْرِي)؟ أهم ما في الصلاة ذكر الله، فأنت عندما تقيم الصلاة تقيم الصلاة لذكر الله، فكل ما في الصلاة أصلاً هو ذكر، قراءة الفاتحة ذكر، والتسبيح ذكر، والتشهد ذكر، وكل ما تفعله من حركات في الصلاة وأدعية هي ذكر لله، فالصلاة تقام لذكر الله تعالى، قال: (قَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي).

الأصل الثالث : الإيمان باليوم الآخر

الأصل الثالث من الأصول التي كانت في هذا اللقاء التاريخي العظيم بين رب العزة جل جلاله وموسى عليه السلام: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِنُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) الإيمان بالله يدفعك إلى طاعته، والإيمان بأن هناك يوماً آخراً ستسوى فيه الحسابات يدفعك إلى أن تعد للمليون قبل أن تقدم على عملٍ تظلم به إنساناً لأن هناك موقفاً بين يدي الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُفُّوهُمْ □ إِنَّهُمْ مُسْتَوْلُونَ

(سورة الصافات: الآية 24)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَرَّبُّكَ لَتَسْأَلَهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(سورة الحجر: الآية 92-93)

فقال: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) ما معنى (أَكَادُ أُخْفِيهَا)؟ (أَكَادُ) يعني ما أخفاها مئةً بالمئة (أَكَادُ أُخْفِيهَا) هناك علامات، هناك أمارات للساعة، ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، منها علامات صغرى ومنها علامات كبرى، الصغرى تحقق أكثرها وحتى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة.

{ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "يَاصْبَغِيهِ هَكَذَا، بِالْأُصْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِثْمَامَ" بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ "

{

(صحيح البخاري)

إخفاء بعض علامات الساعة



لا معنى للامتحان باستمرار الرقابة

فاظهر لك وأعلمك ببعض من شأن الساعة وأخفى القسم الأعظم، فقال: (أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) ما معنى ذلك؟ أنت تاجر، أتيت بعامل ليعمل في المتجر، أردت أن تختبره، إذا كانت الكاميرات شغالة بشكل دائم وأنت لا تغادر المحل، دائماً خلف الطاولة هل تستطيع أن تختبره؟ إذا كان عنده رغبة بالسرقه هل يستطيع أن يسرق؟ هو يعلم بأن الكاميرا تراقبه، لكن ما الذي تفعله؟ تلغي الكاميرات وتغيب عن المحل وتعد النقود وتترك الدرج مفتوحاً قليلاً وتغيب، تعود بعد ساعة تفتح الدرج وجدت نقصاً في المال، وأنت عددهم تماماً، وهو ظن أنك لم تعدهم، فلما أخفيت عنه الامتحان امتحنته، أما إذا كانت الرقابة مستمرة وهو يعلم ذلك وموعد الامتحان معلوم، لم يعد هناك امتحان حقيقي! (أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) حتى يأخذ الإنسان جزاءه، لو أن الله تعالى أعلمك بموعد الامتحان تماماً: كل الناس تتوب قبل النهاية، حتى بساعة الإنسان الصغرى لو يعلم الإنسان أن الموت بتاريخ كذا فإنه يتوب قبل الموعد، تقى وصلاة وعبادة وتوبة وذكر وأذكار، لكن أخفى الله ساعة الإنسان الصغرى وساعة القيامة الكبرى من أجل أن يتحقق الامتحان، فلما قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ

(سورة آل عمران: الآية 102)



كن مسلماً في كل لحظة

وهل أملك ساعة الموت؟ لا أملكها، إذا كن مسلماً في كل لحظة حتى إذا جاء ملك الموت فجأة فأنت مستعد له، (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) يعني كن على الإسلام حتى إذا جاء ملك الموت في أي لحظة فأنت جاهز لمقابلة الله عز وجل، فقال: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى* فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا) من الذي يمنعك عن أن تصل إلى الساعة بسلام؟ إنسان لا يؤمن بالآخرة،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

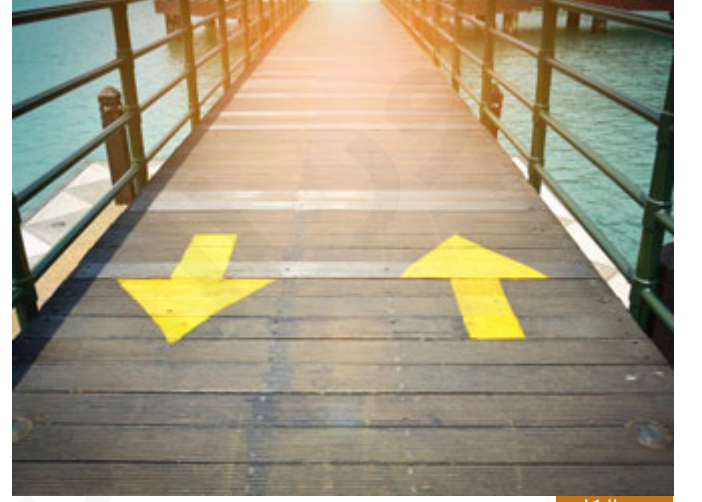
(سورة الروم: الآية 60)

الطبع والفطرة والتكليف

الذي لا يوقن، ليس عنده يقين بيوم القيامة، يستخفك، يجعلك خفيفاً، (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِئُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ)، (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) اتباع الهوى هو الذي يصدك عن الصراط المستقيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ

(سورة النازعات: الآية 40-41)



حقيقة التكليف

حقيقة التكليف أن النفس تأمرك بشيء وأن الله يأمرك بشيء، فمتى ما خالفت هوى النفس واستجبت إلى أمر الله تعالى استحققت الجنة، قدمت السبب لدخول الجنة، أما هي فمحض عطاء من الله عز وجل ومحض فضل، لكن قدمت السبب بأنك نهيت النفس عن الهوى. إخواننا الكرام: نحن عندنا طبع، وعندنا فطرة، وعندنا تكليف، طبع الإنسان يميل دائماً للمعصية، الطبع وليس الفطرة، يميل إلى ما يريح جسمه.



التكليف يتوافق مع الفطرة

مثال: أذن الفجر وأنت في الفراش، الدنيا شتاء، الماء بارد، الفراش مريح جداً ودافئ ومعك ساعتان حتى يحين موعد العمل، تستطيع أن تنام ساعتين أو أن تقوم للفجر، فالطبع يقول لك: ابق في الفراش لأنه يريح جسمه أفلح ونجا، ومتى انساق وراء راحته وطبعه خاب وخسر، فأنت لما تطيع الله ترضي فطرتك، فهذا الشخص: أذن الفجر استجاب للطبع الإنسان لنداء فطرته وعارض طبع جسمه أفلح ونجا، ومتى انساق وراء راحته وطبعه خاب وخسر، فأنت لما تطيع الله ترضي فطرتك، فهذا الشخص: أذن الفجر استجاب للطبع بقي نائماً مستغرقاً في نومه، في الصباح استيقظ يقول لك: هناك شيء ما، أنا منقبض اليوم، لم أصل الفجر، ما الذي أزعجه؟ فطرته، لأن التكليف يتوافق مع الفطرة فهو لما عصى ربه خالف فطرته أيضاً فانزعج، مع أنه أرضى جسمه ونام ساعتين زيادة، بالمقابل المؤمن سمع أذان الفجر ترك الراحة ونهض للفجر فما الذي حصل؟ عارض طبعه، توافقت مع فطرته وأرضى ربه فارتاح نفسياً وأخذ الجزاء العظيم من الله عز وجل، فهذه المعادلة أن نعارض طباعنا التي تميل إلى الجسم وراحة الجسم وأن نوافق فطرتنا التي تميل إلى راحة النفس والسعادة والطمأنينة والسكينة والتي هي في تكليف الله، التكليف هو الفطرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

توافق الفطرة مع التكليف

أمرك بالصدق، والفطرة تحب الصدق، أمرك بالعدل، والفطرة تحب العدل، فأنت توافق فطرتك عندما تطيع ربك، فهنا قال: (قَلَّا يَصُدَّقَنَّ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فاتباع الهوى هو موافقة للطبع، هوى النفس:

الهوى هوان، إنسان يمشي وراء هواه يهوي والعياذ بالله.



النجاه في طاعة الله

(قَلَّا يَصُدَّقَنَّ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ قَتَرْدَى) تردى: أي تهلك، فالهلاك كل الهلاك في معصية الله والفوز كل الفوز في طاعة الله، والنجاة في طاعة الله، والخسارة في معصية الله، إذ هذا اللقاء العظيم بين موسى عليه السلام مع ربه جل جلاله كان فيه أصول ثلاثة هي أصول كل الشرائع من آدم إلى يوم القيامة بما فيها شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، شريعة الإسلام، فهذه الشريعة العظيمة، وهي الدين دين الإسلام الحق، تأتي بهذه الأمور الثلاثة وهي:

- إثبات الوجدانية لله تعالى، فهو موجودٌ واحدٌ جلَّ جلاله.

- ثم التوجه إليه بالعبادة.

- ثم الإيمان بالبعث يوم القيامة، حيث الوقوف بين يدي الله تعالى ليحاسب كل إنسانٍ على أعماله، فيجزيه بها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

والحمد لله رب العالمين